دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المفهوم الإسلامي للفضاء الداخلي السكني: دراسة تحليلية لعينات من القصور الإسلامية
المصدر:	مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية
الناشر:	جامعة الزرقاء - عمادة البحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	البلداوي، محمد ثابت محمد
المجلد/العدد:	مج16, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الصفحات:	68 - 77
رقم MD:	776764
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	العمارة الإسلامية، القصور الإسلامية، الهندسة المعمارية، الآثار الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/776764

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

Interior Housing Architecture in the Islamic Concept an Analytical
Study of Samples from the Islamic Houses and Palaces

Dr. Mohammed Thabit Al-Baldawi
Department of Interior Design -Faculty of Architecture and Design
Al-Ahliyya Amman University- Jordan
m_th_albldiwy@yahoo.com

Received 13/9/2015 Accepted 9/5/2016

Abstract:

This research includes a historical presentation of the housing architecture through the ages and specifically in the era of Arab-Islamic civilization and what distinguishes its exclusive features of the harmony between form and function, and its special techniques of openness around internal space, and more technical specifications about Islamic architecture and its history.

Due to the high variety of regions, people tastes and civilizations, the design concept differs from one space to another and it may even differ depending on the function of the building itself, hence, the process of architectural design of the internal space of a house is different from any other process.

The trend of Islamic architect which is basically based on innovation and creativity made the process of internal-space design more important.

This research will address in its chapters the historical progression of housing architecture and define the linguistic, intellectual and social meaning of this shelter which the human created since his existence, maintained and developed its components in order to survive

Key words: Internal residential space, Islamic Ages, Interior Design.

المفهوم الإسلامي للفضاء الداخلي السكني
دراسة تحليلية لعينات من القصور الإسلامية

د. محمد ثابت البلداوي
قسم التصميم الداخلي - كلية العمارة والتصميم
جامعة عمان الأهلية- الاردن
m_th_albldiwy@yahoo.com

تاريخ استلام البحث ٢٠١٥/٩/١٣ تاريخ قبول البحث ٢٠١٦/٥/٩

ملخص

تتضمن الدراسة عرضاً تاريخاً لعمارة المساكن في العصور الإسلامية الحديثة، وما يميزها من خصوصية توفيقية بين الجمال والوظيفة، وأساليب الانفتاح للداخل حول أفنيتها، والعلاقة بين الداخل والخارج. وبحكم اختلاف الأماكن والشعوب اختلفت فكرة التصميم من فضاء إلى آخر، ومن هنا فإن عملية التصميم المعماري وانعكاسه على الفضاء الداخلي للمسكن في تلك العصور ارتبطت بصورة وثيقة بفكر المعماري المسلم الذي استند على الابتكارية، التي يمكن أن يتسم بها لتصميم فضاء داخلي للمسكن على جانب كبير من الأهمية الجمالية والوظيفية. وتناول البحث التدرج التاريخي لعمارة المسكن من الناحية اللغوية والفكرية والاجتماعية لهذا المأوى الذي أنشأه الإنسان منذ وجوده، وحافظ عليه جملة، وطور مكوناته من أجل الحياة واستمراريتها.

الكلمات المفتاحية: الفضاء الداخلي السكني، العصور الإسلامية، التصميم الداخلي.

مقدمة

حرص المهندس والبناء المسلم على تخطيط المسكن بما يناسب حرمة المسكن وساكنيه. وتميزت البيوت الإسلامية بطابعها المعماري الذي حمل معه مفهوما اجتماعيا ينبع من العادات والتقاليد للمجتمع، وما دخلت عليها من بعض الخصوصيات في الفكر الإسلامي، حيث تفاعل الإنسان مع محيطه من خلال ذلك المأوى الاجتماعين الذي أطلق عليه مصطلح المسكن الذي وجد بوجوده، فجمّله وحافظ عليه وتفنن في لغة عمارته؛ ليكون له ولأسرته الملاذ الآمن من ظروف الحياة الطبيعية وغير الطبيعية وتفاعلها معه، وتطور بتطوره وتوسع وتكاثر إلى أن كون قرى ومدن ودولا تميزت بطابعها وأسلوبها المعماري والبيئي والاجتماعي، ابتداء من المغارة وصولاً إلى ما تميز به من شكل معماري مختلفة باختلاف جغرافية المكان.

وجاء الفكر الإسلامي ليضع الأسس والقواعد لكل نظم الحياة وطرقها، وحدد علاقات الفرد بالمجتمع، وعلى هذا فقد أثر على طريقة حياة المسلم وعلى شكل الفضاء الداخلي الذي يعيش به وملامحه. وقد لوحظ أن من أهم الأسس التي قام عليها التصميم المعماري الإسلامي هو ارتباط العناصر التصميمية وانفتاحها على الفراغ الداخلي الذي شكل من الأنماط المعمارية في المباني الدينية والمدنية وبشكل خاص المسكن.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما مصدر التشريع والإلهام والعطاء الفكري، التي حددت أحيانا للمصمم المسلم طريقة عيشه وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية، وقد أثرت تلك المصادر –دون شك– على تصميم مسكنه وعناصره المعمارية، وذلك حدد العلاقة بين هذه العناصر وطريقة توزيعها. ولقد حدد القرآن الكريم الوظيفة العامة للمسكن بقوله تعالى في الآية الكريمة من سورة النحل: "والله جعل لكم من بيوتكم سكناً" الآية (٨٠).

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في قلة الدراسات التي تتناول الفكر النقدي للتصميم الداخلي للمسكن الإسلامي ومراحل تطوره من وجهة نظر الباحثين والمتخصصين في التصميم الداخلي وأثر ذلك على تصاميم المنازل المعاصرة.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث بكيفية الاستفادة من المعلومات المتاحة عن العمارة الداخلية الإسلامية من المنظرين والدارسين من العرب والمستشرقين، وتحليل وجهات النظر والخروج بمفهوم علمي تحليلي لكيفية بناء فكر فني للمسكن الإسلامي، نستطيع جعله من ضمن الأسس التي تساعد المتخصصين على الرجوع إليه عند الشروع بتصميم فضاء داخلي سكني يفي بحاجة الأسرة المسلمة، وتتماشى مع تطور التكنولوجيا الحديثة والظروف المناخية للمجتمعات العربية على وجه الخصوص.

حدود البحث:

تكمن حدود البحث الزمنية في دراسة بعض المساكن المنتقاة التي بنيت في العصور الإسلامية وتحمل طابع التميز والمكانية من خلال بعض الأمصار التي احتوت العينات.

عمارة السكن عبر التاريخ:

منذ آلاف السنين، وبوجود الإنسان، وجدت مغائره التي كانت مقره ومسكنه، وتشهد جدران تلك المغائر وسقوفها المزينة برسوم وتخطيطات تدل على رغبة ساكنيها في تجميل مسكنهم، حيث كان المسكن هو الحيز الذي استوعب مهارات الفنانين ومواهبهم، فالمنازل التي اكتشفت في وادي النطوف (فلسطين)، أو في المريبط (سوريا)، والتي تعود إلى الألف السابعة قبل الميلاد، كانت مزينة بزخارف ملونة هو الدليل على حاجة الإنسان لفضاء يشعره بالراحة والسكينة.

لكن العمارة بذاتها ومع تطور العلم أصبحت بمظهرها الخارجي وكتلتها وأقسامها شيئاً فنياً مجسماً، يحتاج إلى عمل إبداعي، فكري هندسي، ومع ذلك استمرت العمارة بكونها المجال الذي يستوعب جميع أنماط الفن، من تصوير أو نحت وقد اعتمدت العمارة لغة أخرى غير مفردات لغة الخط واللون، وهي لغة الكتلة والفراغ، وقدمت لنا هوية مستقلة متميزة لم تختلط بهوية فنون العمارة الأخرى.

كانت جدران المساكن تغطى عادة بمادة الجص وتنقش نقشاً بسيطاً. وكانت الحجرات والمرافق تقام حول فناء يقي المسكن وهج الشمس وحرارتها في بعض المدن. ولهذا السبب كانت أغلب الحجرات تطل على هذا الفناء الداخلي بدل أن تطل على العالم الخارجي. وحصلوا على المياه من الآبار، إلى أن تطور نظام الصرف الصحي. أما محتويات المنزل وأثاثه فكانت بسيطة وقليلة في بداية التكوين، لكن لن تخلو من طابع الجمال والحاجة إلى أن تطورت حتى أصبحت بهوية ومفهوم خاص.

امتزج الفكر المعماري الإسلامي مع الحضارات التي سبقته في البداية، ثم بدأ التوجه لإظهار لمسته المتميزة من خلال بناء المسجد والمسكن والمدينة. وتجلت حكمة العرب وبعد نظرهم في إقبالهم على استقدام الفنيين والمهرة والمتخصصين من البلاد التي فتحوها، واستخدامهم في الأعمال المختلفة، وكان لتسامح المسلمين ومعاملتهم الكريمة وحسن تقديرهم لذوي الحرف واعترافهم بمهاراتهم وخبرتهم أكبر الأثر في دفع هؤلاء إلى وضع خبراتهم ودراساتهم في البناء والعمارة في المدن التي سافروا إليها لتكون بداية التنوع والتشكيل الفني المعماري سواء بالخارج أو الداخل، وتولدت تدريجياً بالعمل والتجربة والحاجة سمات هندسية تميزت من خلال المواد التي استغلوها في البناء، ودراستهم للمناخ المؤثر على البيئة، سواء العازلة لحرارة الشمس أو المحتفظة بدفء المسكن في الشتاء، خاصة في شكل الفتحات في الجدران والأسقف، كما في البيوت اليمنية والخليجية وغيرها من البلدان والمدن العربية، فقد أبدعوا ببناء سقف المنزل بمد الخشب على جداري المسكن ومن فوقها الألواح موصلة بالدساتر ويصب عليها التراب والكلس.

تاريخ عمارة المساكن في العصر الإسلامي:

الخلافة الأموية (٦٦١- ٧٥٠م) (٤١- ١٣٢ هـ)

يعتبر العصر الأموي هو العهد الذي تحولت فيه المدينة العربية إلى مدينة ذات طابع إسلامي، فظهرت في دمشق أول دار، وهي دار الإمارة، وكانت قصراً للخليفة، عرف باسم قصر الخضراء نسبة للقبة الخضراء. وقد كان فيه جناح خاص بأهل الخليفة، وجناح آخر يستقبل به رجال الدولة. وكان ذلك أول بيت في دمشق، والذي زالت آثاره عقب حريق الجامع الأموي. ومع الازدهار والتطور الحضاري الذي حدث في العصر الأموي، ولا سيما في دمشق عاصمة الخلافة، وفي ظل حركة الإعمار التي عرفتها الدولة الإسلامية (صورة ١)؛ إذ نجد الدار مشيدة بسور مرتفع خال من أي فتحات، وفي وسطها صحن واسع يحيط به رواق على أعمدة، توزعت خلفه على طابقين وهي بيوت متلاصقة، يتكون كل بيت من بهو واسع تنفتح على جانبيه الغرف بشكل يراعي التناظر والتناسق في التوزيع، بعضها مربع وبعضها مستطيل الشكل.

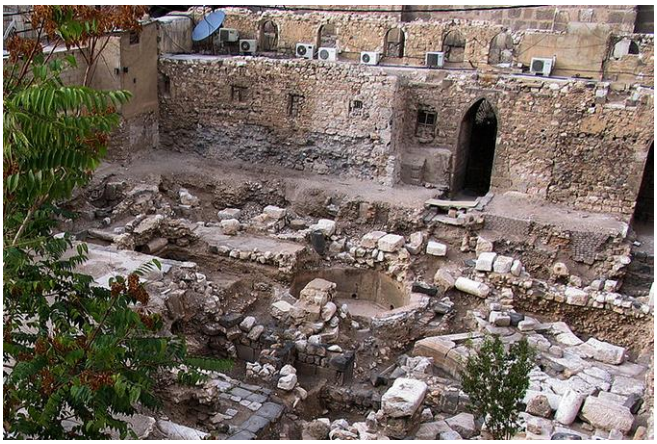

صورة(١) الواجهة الداخلية الشمالية لقصر الخضراء الذي زالت آثار إثر حريق المسجد الأموي بدمشق

الخلافة العباسية (١٣٣- ٣٥٨ هـ)

أخذ النسيج العمراني للمدينة في هذه الفترة من الحكم الإسلامي طابعا أكثر تميزا، فأصبحت أحياؤها مؤلفة من أزقة فرعية متعرجة تحف بها بيوت من عدة طبقات، وبدأ ظهور التحولات على العمارة المحلية، وشاع بناء الحجر واستعمال المقرنصات في المداخل كتعبير إنشائي ومعماري معاً، واستعملت الأقبية في التسقيف، ولعل ما وصلنا من مخططات ووصف عن البيت العباسي، تلك التي نجدها في قصر الأخيضر (صورة ٢) الذي شيد في عهد الخليفة المنصور، والمرجح أنه كان مسكناً لعمه عيسى بن موسى، حيث نجد بيوتاً مستقلة تتشابه في تخطيطها، تحيط بقصر مركزي كبير. ويتكون المسكن فيها من صحن أقيم في طرفيه المتقابلين جناحان يتألف كل منهما من بهو واسع كالإيوان، وعلى جانبيه غرفتان مفتوحتان عليه وعلى الصحن،

بعض البيوت يتقدم أجنحتها السكنية رواق أو سقيفة ذات ثلاث فتحات، وقد تحول البهو إلى إيوان حقيقي، وبعضها خلا من الرواق.

صورة(٢) تبين جزءا من قصر الأخيضر/ العصر العباسي

العصر الفاطمي (٣٥٨- ٤٦٨هـ)

سيطر الفِناء على عملية التصميم في مساكن هذه الفترة حيث اشتركت مساكن الدولة الطولونية والدولة الفاطمية في وجود الفناء المكشوف الرئيسي الأوسط، حيث تلتف حوله عناصر وحجرات المسكن، مع وجود أفنية ثانوية تشرف على عناصر الخدمات وملحقات المسكن في بعض النماذج. وقد تراوح شكل الفناء الأوسط الرئيسي بين مربع ومستطيل، بينما لم يكن للأفنية الثانوية شكلا محددا. تميزت أبنيتهم الكبيرة بأواوين ذات عقود حجرية واسعة مفتوحة على باحة البناء في جهاتها الأربع، أو في ثلاث من جهاتها، مع وجود بركة ماء في وسط الباحة، واستعملت المقرنصات في هذا العصر كعنصر معماري وزخرفي، وخصوصاً في زوايا القباب عند الانتقال من الشكل المربع الى الشكل المستدير. (صورة ٣)

صورة(٣) تبين العنصر الزخرفي المستخدم في المقرنصات بمساكن العصر الفاطمي

العصر المملوكي (٦٥٨- ١٥١٦هـ)

نجح معماريو هذا العصر في التعبير عن أجزاء المبنى المختلفة –وخاصة المساكن– كل حسب وظيفته، وظهرت المعالجات التشكيلية في الواجهات، وتعددت المنشآت الدينية وصغرت مساحتها، بالإضافة إلى محاولات دراسة الفراغ الداخلي، وعموماً فإن عمارة العصر المملوكي قد تخلت عن البساطة واتجهت نحو الفخامة والاهتمام بالشكل دون المضمون.

في بداية هذا العصر شيد السلطان الظاهر بيبرس قصره الأبلق في الميدان الأخضر، وقد وصفه العمري: "مبني بالحجر الأسود والأصفر، مدماك من هذا، ويدخل إليه من دركاه (دهليز) له جسر راكب بعقد على مجرى الوادي إلى إيوان براني ثم يدخل إلى القصر من دهاليز فسيحة تشمل على قاعات مكسية بالرخام الملون إلى السقف، والدار الكبرى بها إيوانات متقابلة".

المضمون الإسلامي في تصميم المباني الإسلامية:

من سورة النحل (الآية ٨٠) بقوله تعالى: "**والله جعل لكم من بيوتكم سكناً**". تأثر الفن الإسلامي بفنون الحضارات التي سبقته، ألا أنه صهرها في بوتقته الشخصية، حيث استنبط المعماريون المسلمون نظاماً معمارياً مميزاً متكاملاً من التشكيلات والتراكيب المعمارية والزخرفة. لتشكل المضامين الإسلامية بمفهومها الفلسفي أحد السمات اللافتة في العمارة الإسلامية، وهو تركيزها على الداخل أكثر من الخارج، فالمسكن الإسلامي مشيد حول صحن المسكن الداخلي، يطل على العالم الخارجي من خلال جدران عالية، تتخللها نوافذ صغيرة الحجم ومجموعة من المشربيات تهيأ الانفتاح على الخارج، دون خلال في الحجاب، وتخدم أهداف التهوية والإضاءة والإطلالة والإشراف، ومن المألوف تجمع عدة منازل سكنية، والدخول من خلال بوابة، تؤدي لفراغ تتفرع منه ممرات (حارات) للوصول إلى الدور السكنية، وهذه التجمعات تصور المدينة الإسلامية القديمة. (صورة ٤).

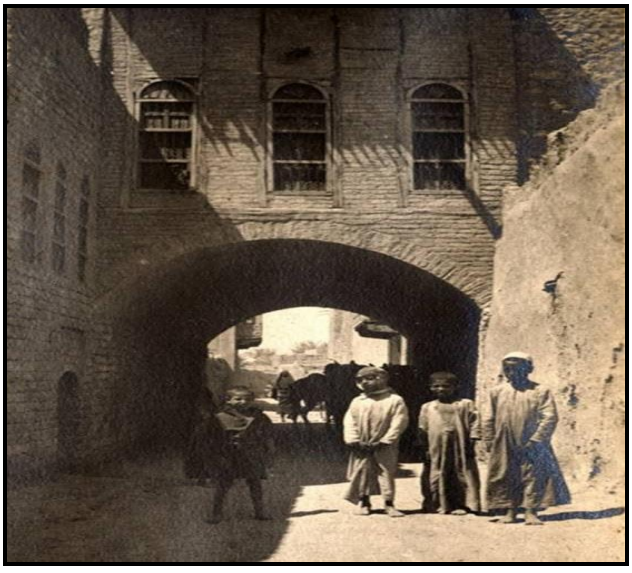

صورة(٤) تبين الأزقة الرابطة بين المناطق والمساكن في المدن الإسلامية القديمة (القاهرة)

أكدت الحضارة الإسلامية على مر العصور على تلبية احتياجات الإنسان المسلم النابعة من مصادر التشريع الإسلامي، فحرمة الدار مثلاً يجب أن تكون في معزل عن أي امتداد لمنازل الآخرين، والواجهة الأخرى هي الحجاب الذي يحمي سكان البيت من أعين الغرباء، وارتفاع الجدران الخارجية ليس فقط ضمن إطار المنفعة بل ضمن حقوق الجوار.

قد يخفى على البعض فهم فلسفة العمارة الإسلامية وتصميمها الداخلي، ويتصور اهتمام معماريي ذلك العصر بالتفاصيل الزخرفية فقط، وهذه نظرة سطحية بعيدة عن مفهوم مبادئ التصميم المعماري، فعندما يتم الاستغناء عن عناصر الزخرفة في أحد البيوت، واستبدال مواد البناء الحديثة كالخرسانة والألمنيوم بالقديمة، تصبح النتيجة من وجهة نظرهم مسكنا متطورا. حيث إن المسكن محكوم بعلاقته الفراغية وتكوينه التصميمي، وكذلك ارتباطه بالبيئة المحلية المحافظة على تقاليد البلد الاجتماعية العقائدية.

التكوين العام للمسكن الإسلامي وخصائصه المعمارية والداخلية:

اعتماد عنصرين مهمين من عناصر الإنشاء البنائي وهما الأقواس والعقود، بأشكال ونسب متنوعة، لتكون رمزا لتميز العمارة العربية الإسلامية (صورة ٥). أول ما يواجه الداخل إلى مسكن إسلامي هو الطابع المتواضع لمدخله: ممر ضيق، منخفض السقف، ينكسر بزاوية قائمة في نهايته لينفتح على صحن الدار الرحب مع بركة في منتصفها ونافورة منبثقة من مركز هذه البحرة لترسم جوا من الحياة.

صورة(٥) تبين استخدام العناصر المعمارية والأقواس

اعتماد نظام بناء الجدران المشتركة، ذات السماكات الكبيرة، بين المنازل والبيوت المتجاورة في بناء الأحياء السكنية، مما يعني استمرار الواجهات المعمارية، وإعطاء الشارع نسقاً معمارياً موحداً، وتقليص المساحة الخارجية المعرضة للحرارة وضوء الشمس، واعتماد مبدأ الفِناء الداخلي كأساس للمسكن العربي القديم. والفناء هو قلب المسكن، وتتجمع حوله الغرف الأخرى، ولعب دوراً مهماً في الحفاظ على الخصوصية الداخلية للمسكن العربي، وساعد استخدام حجر البناء الطبيعي في العقود والقناطر في الاستغناء عن نقاط ارتكاز وسطية (الأعمدة).

وهذه العناصر الثلاثة الرئيسية ظهرت بهذا الترتيب في بيوت الولاة في طابق أرضي واحد وصحون ومداخل متعددة. أما بيوت العائلات البسيطة فقد جاء ترتيب هذه العناصر في طابقين أو ثلاثة بصحن واسع ومدخل واحد وضم جناح الاستقبال، من الجهة الشمالية القاعة، وفي الجهة الجنوبية الإيوان وقاعتين على جانبيه، ثم المطبخ والخدمات ودرج ينزل به للقبو، ودرج يصعد به إلى الطابق الأول. وجميع هذه العناصر يتوسطها الصحن الواسع بجميع تفاصيله، وجناح المعيشة، ويضم الغرف المتعددة لسكن العائلة، التي تفتح على رواق مظلل يطل على صحن المسكن، وهي تطل على الجهة الجنوبية لاستقبال أشعة الشمس في الشتاء، وأحياناً تأتي غرفة أخرى تجانبها أو تواجهها، ويصعد إليه بسلالم حجرية مخفية في مكان مسقوف أحياناً، أو ظاهرة في بعض جوانب الصحن، ويلاحظ زيادة ارتفاع واقفات الدرج عن الحد المألوف. وتكثر الفتحات في الطابق العلوي رغبة في مزيد من النور والشمس والإطلالة إلى الصحن، حتى أصبحت تؤلف واجهاتها سلسلة من الشبابيك الزجاجية، وقد زود بعضها بإيوان صغير للجلوس، وزود البعض الآخر بممر مسقوف أمام الغرفة يطل على الصحن للوصول إلى سائر غرف الطابق العلوي باستخدام درج واحد؛ كما في مسكن الشيخ بدر الدين الحسني بحارة النقاشات.

القبو: والقبو عبارة عن غرفة أو قاعة مسقوفة بقبوة، ولها نوافذ على الصحن في مستوى الأرض في أسفل واجهة القاعة ويستخدم لحفظ المؤن؛ بسبب ما يحتفظ به من الرطوبة. ويضم غرفة أو أكثر لتخزين المؤونة والمياه، ويقام غالباً تحت مستوى القاعة المرتفعة عن صحن الدار وينزل إليه بدرج.

جناح الاستقبال للرجال أو البراني/ السلاملك: وهو الجناح المخصص لاستقبال الضيوف، والذي يحتل الجزء المباشر والقريب من مدخل المسكن العام، ويتوسطه صحن واسع ببركة ونافورتها الجميلة وما فيه من أشجار، وتطل غرف هذا الجناح جميعها عليه، وأهمها القاعة والإيوان بمختلف مستوياتها وتعدد مناسيبها.

جناح المعيشة –الحريم– أو (الجواني)/ الحرملك: وهو الجناح المخصص لمعيشة الأسرة، نصل إليه بمسار متعرج من جناح الاستقبال لتأمين الخصوصية والسترة. ويتوسط هذا الجناح أيضاً صحن واسع ببركته ونافورته ومزروعاته ثم الغرف حوله، وأهمها القاعة والإيوان، حيث يتقابلان من الشمال والجنوب، ثم المطبخ والخدمات وجناح الخدمة –الخدم أو الخدملك– وهو الجناح المخصص للخدم، من حارس وخادم وطاه وسائس وغيره، حيث تتجمع غرفهم الصغيرة من مطبخ وغرفة مؤونة وحمام ودورة مياه وغرف الخدم وغيرها على صحن صغير وبركة صغيرة، ولهذا الجناح مدخل خلفي خاص، ومنه باب يؤدي إلى الإصطبل، وهو غالباً ما يأخذ فراغاً منزوياً بعيداً عن أنظار الزوار، ومن المعلوم أن التموين يأخذ طابعاً سرياً، لذلك غالباً ما تأخذ مداخل المستودعات والمؤن مداخل جانبية مخفية (صورة ٦).

صورة(٦) تبين جانب المسكن المؤدي لجناح الخدم

ويكون التقسيم العام للفضاء السكني كالآتي:

١. **المدخل:** الدخول إلى المسكن من باب خارجي رئيسي في ركن واحد من الجدران الخارجية ينفتح إلى الداخل، ويغلق بمصراع واحد من الخشب المصفح بالحديد والمسامير، مزودة بمطرقة أنيقة من حديد أو نحاس تطرق من قبل الضيف للاستئذان بالدخول، وينفتح في هذا المصراع غالباً باب صغير يسمى خوخة، كما في باب قصر العظم بدمشق القديمة، يستعمل للدخول في الأحوال العادية. وأما الدخول في المسكن العادي فمن باب خارجي صغير متواضع مزخرف أو بلا زخارف بعرض حوالي ٨٠–٩٠ سم، ويكون الدهليز على الأغلب طويلاً وضيقاً وأحياناً متعرجاً لتحقيق غاية الفصل والسترة وتهيئة أهل الدار للاستقبال، ويؤدي هذا الدهليز إلى صحن الدار مباشرة.

٢. **الصحن:** هو القسم الأساسي في المسكن، فهو جنة أهل البيت ومنتزههم في الصيف والشتاء، وموضوع عنايتهم من ناحية الترتيب والنظافة والزينة.

تختلف مساحة الصحن وتفاصيله المعمارية حسب مستوى المسكن، من صحن كبير مبلط بزخارف رخامية ملونة بديعة وبركة متوسطة حجرية أو رخامية عدا أحواض الزهور والأشجار المحيطة بها. الغرف المحيطة بهذا الصحن تنفتح عليه لذا فإن هذه الغرف تبقى محتفظة بحرارتها دون أن تتأثر بتقلبات الطقس الخارجية. وعدا ذلك فإن الصحن يسمح بظلال على امتداد النهار كما أنه يحتفظ بهواء نظيف غير ملوث. وأما الجدران المحيطة بالصحن فهي مغطاة بزخارف هندسية والمحفورة على الحجر الأبيض المنحوت والمملوء بالجص الملون، يتخللها أحياناً حجارة صفراء ناتئة مزخرفة بزخارف بارزة. كما يوجد حول أبواب القاعات ونوافذه المطلة على الصحن أقواس ومشكاة فيها مقرنصات بارزة على الحجر الأصفر.

نستطيع أن نقول إن صحن المسكن عالم آخر يتناقض مع البيئية الخارجية للمسكن، فهو يحجب عن الساكن جميع عوامل الطبيعة الخارجية ويترك له التمتع المطلق بالسماء، وفيه الماء عبر الحوض والبئر والزخارف الحجرية على جدرانه وفوق شبابيكه وأبوابه.

٣. **الإيوان:** من أهم العناصر المعمارية وهو مفتوح على صحن المسكن بالمنسوب نفسه وأحياناً بمنسوب أرضية صحن المسكن. ونجد أن الإيوان يهيمن على وسط الواجهة الجنوبية وهو مخصص للاستقبال صيفاً، وهو دائماً ذو قوس مدبب وسقف مستو، يبلغ ارتفاعه طابقين ولا يعلوه بناء آخر، وهو مزين برسومات نباتية تؤطر قوسه. أما داخله فهو عبارة عن فراغ مسقوف، غالباً ما يكون مربع المسقط، أرضيته مرخمة مرتفعة عن مستوى الباحة بمستوى درجة أو أكثر. وفي البيوت الكبيرة يوجد أحياناً إيوان آخر في الجهة الشمالية يصلح لفصل الشتاء حيث يتعرض لأشعة الشمس. ويقع على يمين الإيوان ويساره غرفتان متقابلتان بشكل متناظر، وأحياناً يوجد إيوان شرقي وغربي.

يعتلي الإيوان قوس كبير وعال مزخرف بالنقوش الحجرية بما يشبه ويتلائم مع زخرفة جدران الصحن والإيوان. ولهذا القوس ركيزتان مزخرفتان من الحجر. ثم تتصل الزخرفة بانسجام وتوافق على جدران الإيوان وحول أبواب القاعات وحول النوافذ المطلة عليه ويكون مفتوحاً نحو الشمال للواجهة الجنوبية لسبب مناخي، فهو ظليل، والإيوان هو المتنفس الصيفي لأهل البيت، فهو مخصص للاستقبال صيفاً وجلوس العائلة؛ لأنه ظليل ومحمي من أشعة الشمس المباشرة، وفي الوقت نفسه مفتوح على الباحة ليأخذ الهواء الرطب المنعش، أضف إلى ذلك محوريته مع البحرة والباحة السماوية.

٤. **القاعة:** وهو المكون المعماري المعد لاستقبال الضيوف والمعيشة وللمناسبات والأفراح وتكون عادة على نوعين: صيفية وشتوية.

فأما القاعة الصيفية فتكون عادة في الجهة الجنوبية من صحن المسكن؛ كي تكون مفتوحة على الشمال لتتلقى نسيمه البارد، ويكون فيها فسقيات تنثر المياه وتضفي على جوها نوعا من الرطوبة المنعشة. أما القاعة الشتوية فتكون في الجهة الشمالية من صحن المسكن، حيث تواجه أشعة الشمس الدافئة. والقاعة إما أن تكون ذات طراز هندسي فني واحد أو أكثر (أي القسم المرتفع من القاعة). يتوسط هذه الطرز عادة عتبة فسيحة بمنسوب منخفض عنها بحوالي ٣٠–٥٠ سم، حيث يخلق تفاوت المناسيب فيها تيارات هوائية رطبة وعازلة وحافظة لدرجة حرارة معتدلة. وتنفصل عن العتبة بأقواس حجرية عليها تزيينات هندسية ملونة منزلة في الحجر المنحوت. وأما جدران القاعة فيكسوها الرخام المعرق والمطعم بالصدف أو بنقوش من الحجر الزاخر بالفن والإبداع (صورة ٧).

صورة(٧) تبين صالة استقبال الضيوف

٥. **المطبخ:** يتواجد دائماً في الطابق الأرضي، ويطل على صحن المسكن، ويحتوي على عناصر خدمية وإنشائية مختلفة، ويتواجد البئر أحياناً قريباً منه.

٦. **غرف النوم:** جاءت غرفة النوم عموماً في الطابق العلوي موازية لخط القبلة، ومفتوحة بشبابيك زجاجية على رواق مطل على صحن المسكن؛ لتستقبل أشعة الشمس الدافئة في الشتاء، وفي فصل الصيف تستعمل غرف في الطابق الأرضي للنوم تأميناً للرطوبة واعتدال الحرارة.

٧. **سطح المسكن:** هو المكان المكشوف الذي يعتلي الطابق الأول ويتميز بأنه مسور بدرابزين معدني.

أشهر القصور العربية:

١. قصر الخضراء:

يقع قصر الخضراء قرب الجامع الأموي الكبير بدمشق من جهة الجنوب وهي الجهة القبلية في الجامع، وما زالت المنطقة هناك تعرف بالخضراء حتى اليوم، والقصر كان متاخمًا لجدار الجامع، بل إن الخليفة كان يدخل مباشرة إلى الجامع من قصره خلال بوابة ما زالت قائمة حتى النوم. هكذا فإن قصر الخضراء كان مسكناً للخليفة، حيث أنشأه معاوية بن أبي سفيان عندما كان والياً على الشام ثم أصبح قصر الخلافة. ولقد وصفه ابن عساكر والأصفهاني ولم يعد له أثر، وكان يشغل أروقة القصر بيت المال وديوان البريد وغيرها، أما مجلس الخليفة فكان في القاعة أو القاعتين الواقعتين في الجهة الغربية من الجامع في قلب مدينة دمشق القديمة.

٢. قصر عبد الملك في القدس:

أنشئ عام ٧٠٠م وقد انسجم مع المناخ وضرورات الوظيفة وشروطها، وكان مثالاً للفن والزخرفة مما نراه واضحا في الآثار المكتشفة في مناطق هذا القصر. ففي القصور الثلاثة في مدينة القدس إبان حكم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أو القصور التي بنيت أيام حكم ابنه الوليد بن عبد الملك؛ نجد أن كلا منها تحيط به جدران خارجية ذات أبراج دائرية في الزوايا، وأبراج نصف دائرية في منتصف كل ضلع.

وقد كشفت التنقيبات عن أجزاء من هذه الأسوار المتهدمة تصل إلى ارتفاع أربعة أمتار. ولوحظ أن الأسوار يفصلها عن الحرم شارع عرضه ٤٣٠ سم، كان مبلطاً ببلاط صقيل بأبعاد ٢٥×٣٥ سم و٦٠×٧٠سم. وآثار هذه القصور الثلاثة تدل على وجود أحدها جنوب سور الحرم والثاني غربه. وما هو جنوب الحرم قصر كبير أبعاده ٤٨×٩٦م، وله باب من جهة الشرق وآخر من الغرب وفي الوسط فناء محاط بأروقة وراءها غرف واسعة يبلغ طولها ١٧م أو ٢٠م. ولقد عُثر في هذا الموقع على أعمدة وتيجان ومشبكات وقطع من الدرابزين، كما عثر على زخارف ملونة في الجناح الغربي. أما المبنى الآخر فهو أصغر مساحة، ولكنه يشابهه في المخطط، والمبنى الثالث أيضا مشابه في مواد إنشائه وطرازه وفسيفسائه للبناءين السابقين.

٣. قصيّر عمرة:

أنشأه الوليد بن عبد الملك (٧٠٥- ٧١٥م) اكتشفه Alloa Moselle، وكتب عنه، وما زال هذا القصر بتفاصيله قائماً في الأردن (صورة ٨).

صورة(٨) قصر عمرة في صحراء الأردن

يتكون القصر من قاعة استقبال مستطيلة الشكل ذات عقدين يقسمانها إلى ثلاثة أروقة، لكل رواق قبو نصف دائري، ويتصل الرواق الأوسط في الجهة الجنوبية بحنية كبيرة على جانبيها غرفتان صغيرتان تطلّان على حديقتين كانتا تستخدمان للقيلولة. تزدان أرضية الغرف والقاعة بالفسيفساء التي تمثّل زخارف نباتية، أما الغُرَف الأخرى فمكسوة بالرخام. وللقصر حمام مجاور لقاعة الاستقبال يتكون من ثلاث قاعات، اثنتان مسقوفتان بأقبية نصف دائرية والثالثة مسقوفة بقبة صغيرة. يتكون الحمام، الذي ما زال بحالة جيدة، من ثلاث قاعات: باردة وفاترة وساخنة، والأخيرة مزودة بأنابيب للبخار. ملحق بالحمام غرفة كبيرة لخلع الملابس مزودة بمقصورتين.

زود القصر أيضا بشبكة مائية تمر من تحته، ففي ساحة القصر هناك بئر ماء عمقها ٤٠ متراً وبقطر ١,٨ متر، تتسع البئر لـ

١٠٠ متر مكعب من الماء، الذي كان يملأ من وادي البطم عندما يهطل المطر، وعندما تنساب المياه في ذلك الوادي كان يتم رفع الماء منها بواسطة ساقية قديمة، ويوضع في خزان ماء بجانب البئر، وكان الماء ينساب في خطين أحدهما يتجه إلى الساحة الداخلية ليغذي النافورة الموجودة على يسار المدخل، وخط ليزود الحمام وغرفة الحمام في أنابيب فخارية. صورة رقم (٩– ١٠).

صورتان(٩ –١٠) لقصير عمرة من الداخل

٤. قصر الصرح والحمام:

ويطلق عليه أيضا قصر الحلابات الشرقي؛ يقع في مدينة الزرقاء في الأردن شمال العاصمة الأردنية عمان وهو يعد من أفضل المعالم التاريخية في المدينة، (صورة ١١).

صورة(١١) قصر الحلابات صحراء الأردن

وقد أُقيم في منطقة سهلية، يتكون من مجموعة من الأبنية تشمل حماماً بقبةٍ مخططةٍ مع ملحقاته، ومسجدا صغيرا، وقاعة استقبال، وينسب بناء القصر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك في أوائل القرن الثامن الميلادي، لم يبق من هذا القصر إلا الحمام، ولقد درسه كريزويل Creswill، والحمام يشبه حمام قصير عمرة دون رسوم، وقد يعود إلى عهد الخليفة الأموي هشام. (صورة ١٢).

صورة(١٢) للفضاء الداخلي لقصر الحلابات في صحراء الأردن

٥. قصر الحمراء:

هو حصن وقصر ملكي يقع على مرتفع مشرف على غرناطة، وهما قصران مندمجان أنشأهما يوسف الأول (١٣٣٤– ١٣٥٣) وابنه محمد الخامس (١٣٥٣– ١٣٩١م)، وفيه صحن البركة، وصحن الأسود، وقاعة الملوك، والعدل، والأختين، وبني سراج، كما فيه برج السيدات وقصر البرطل وصالة السفراء.

وهو قصر أثري وحصن، وانتهى بناؤه في عصر بني الأحمر حكام غرناطة المسلمين في الأندلس بعد سقوط دولة الموحدين. وهو من أهم المعالم السياحية بأسبانيا ويقع على بعد ٢٦٧ ميلاً (٤٣٠ كيلومترا) جنوب مدريد. تعود بداية تشييد قصر الحمراء إلى القرن السابع الهجري، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي، وترجع بعض أجزائه إلى القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي.

ومن سمات العمارة الإسلامية الواضحة في أبنية القصر؛ استخدام العناصر الزخرفية الرقيقة في تنظيمات هندسية كزخارف السجاد، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية، بل حتى بعض المدائح والأوصاف من نظم الشعراء كابن زمرك، وتحيط بها زخارف من الجص الملون الذي يكسو الجدران، وبلاطات القيشاني الملون ذات النقوش الهندسية، التي تغطي الأجزاء السفلى من الجدران.

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. بهنسي، عفيف، *جمالية الفن العربي*، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٩.

٣. حجا، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوى.

٤. الحوليات، مجلد ٣، مقال العش، ٤٨، ١٩٥٣.

٥. ديورانت، ول، أريل ديورانت قصة الحضارة، ترجمة بقيادة: زكي نجيب محمود.

٦. الروسان، عاطف محمد وسمارة، جودت أحمد ، التفاصيل المعمارية والإنشائية في البيت العربي، عمان: المؤلفان، ٢٠٠٩.
٧. شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، المجلد الأول– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
٨. شربجي، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي، الطبعة الأولى، بيروت ص١٦، ١٩، ٢٠.
٩. شلباية، محمد بدر، التهوية والتبريد في الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، عمان: دروب للنشر، ٢٠١١.
١٠. عبد الرحمن، عمار، العمارة الإسلامية في دمشق، دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل.
١١. عكاشة، ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤.
١٢. عكاشة، علياء، العمارة الإسلامية في مصر، الجيزة: بردي للنشر، ٢٠٠٨.
١٣. كبريت، زكريا محمد، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، الطبعة الأولى، دمشق: مؤسسة الصالحاتي، ٢٠٠٠م.

المواقع الإلكترونية:

1. http://www.wikipedia.org/
2. http://ejabat.google.com/
3. http://www.marefa.org/
4. http://ar.wikibooks.org/wiki/ موسوعة حضارة العالم لأحمد محمد عوف
5. http://books.google.com/
6. http://www.nasiriyah.org/all%20image/pictures%2009/Taywan%2010%205%202009/nasiriya008.JPG
7. http://khabour.com/ara/index.php?option=com_content&task=view&id=679&Itemid=109
8. http://behth.com/
9. http://www.airss.net/site/
10. http://nhm.uobaghdad.edu.iq/

ملحق (١)

أسماء بعض المعماريين المعروفة أسماؤهم

١. **ثابت بن ثابت** (من القرن الثامن): مهندس معماري من سورية، أنشأ قصر الحير الغربي، وقد وجد اسمه منقوشاً على واجهة أحد الأبواب الملحقة بالقصر، وعليه مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بصنعة هذا العمل عبد الله أمير المؤمنين أوجب أجره، عمل على يد ثابت بن ثابت في رجب ١٠٩ هـ) واللوح محفوظ في المتحف الوطني بدمشق.

٢. **مسلمة بن اللول** (القرن التاسع): وهو من المهندسين المعماريين الأساسيين لقصر عبد الرحمن الثالث في مدينة الزهراء قرب قرطبة، وهي مدينة ملكية ابتدأ بعمارتها سنة ٩٣٦م، وهي تشتمل على قصر وأسوار وحدائق ومساجد ومساكن، واستمر بناؤها ستة عشر عاماً.

٣. **علي بن جعفر** (القرن التاسع): ولد في الإسكندرية وفيها شب، ثم أصبح واحداً من مهندسي قصر مدينة الزهراء قرب قرطبة.

٤. **فتح** (القرن التاسع): وقد وجد اسمه تحت قبة الزيتونة الكبيرة في تونس، حيث كتبت العبارة التالية: هذه القبة من عمل فتح وانتهى بناؤها في عام ٨٦٤م ٨٦٥م.

٥. **الشلبي أو جالوبي** (القرن التاسع): هو من طليطلة وكان اسمه منقوشاً على أنه من معماري قصر إشبيلية ولكن النقش فقد.